

المنهج التربويّ لتجليات الأم في قصص ألف ليلة وليلة

مراجعة مقال □ Subject Rview

أ.م.د يسرى خلف حسين

yusra.khalaf@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية

الملخص

إن الحديث عن تجليات "الأم" في ألف ليلة وليلة يثير جملة من الأسئلة لعلّ أبرزها: كيف تظهر صورة الأم في هذه الحكايات من حيث الشكل والمضمون؟ وما الوظائف السردية والثقافية التي تنهض بها؟ وهل الأم في الليالي مجرد شخصية أم هي حاملٌ لنسقٍ ثقافيّ يُشرعُن أو يعارض القيم السائدة؟ ولعلّ السؤال الأهمّ عن القيم التربوية التي تظهر في الصور المتعددة والمختلفة للأم في هذه القصص، وهو ما يدعونا للقول بوجود ملامح حقيقية لمنهج تربويّ تعكسه تلك الانطباعات المختلفة لتجليات الأم في القصص نفسها.

تكمّن أهمية هذا المقال في كونه يحاول استعادة صوت الأم في نصٍ لطالما انشغل النقاد بحكايات البطولات والعجائب فيه، مغفلين أثر هذا الكائن العاطفي العميق؛ فالأم في الليالي ليست كائنًا بيولوجيًا فحسب؛ بل رمزًا للحماية، والسلطة، والمعرفة، والانبعاث أحيانًا. وهي بهذا تحيلنا إلى أدوار ثقافية وسياسية وتربوية تتجاوز حضورها المباشر في النصّ. الكلمات المفتاحية: المنهج التربويّ، التجليّ، الأم، قصص، ألف ليلة وليلة.

The educational approach to the manifestations of the mother in the stories of Arabic Nights

Assistant Professor Dr. Yusra Khalaf Hussein

University of Baghdad / College of Education (Ibn Rushd) for Humanities

Abstract:

Talking about the manifestations of the "mother" in One Thousand and One Nights raises a few questions, perhaps the most prominent of which are: How does the image of the mother appear in these tales in terms of form and content? What narrative and cultural functions does

she perform? Is the mother in the Nights merely a character, or is she a carrier of a cultural system that legitimizes or opposes prevailing values? Perhaps the most important question is about the educational values that appear in the multiple and different images of the mother in these stories, which leads us to say that there are real features of an educational approach reflected in those different impressions of the manifestations of the mother in the stories themselves.

The importance of this article lies in its attempt to recapture the voice of the mother in a text that critics have long focused on, focusing on its tales of heroism and wonder, while neglecting the profound impact of this emotional being. The mother in the Arabian Nights is not merely a biological entity; she is a symbol of protection, authority, knowledge, and sometimes even rebirth. In this sense, she alludes to cultural, political, and educational roles that transcend her direct presence in the text.

Keywords: Educational approach, manifestation, mother, stories, Arabic Nights.

الأم بوصفها مرآة ثقافية تربوية:

ينطلق المقال من إشكالية محورية مفادها أن صورة الأم في "ألف ليلة وليلة" ليست صورة نمطية أو جامدة، بل هي مرآة لنسق ثقافي مركب، يعيد إنتاج المفاهيم الاجتماعية حول المرأة والأمومة والحماية والخطر والمعرفة، وكل ذلك من خلال بنية سردية شديدة الغنى والتنوع. وفي ضوء هذه المقاربة تتجلى مفاهيم تربوية تعكسها الصور المتعلقة بالأم في هذه القصص؛ إذ يمكننا الحديث عن اصطيات ملامح قوية لمنهج تربويّ يتمظهر في أفعال الأم، وردودها، وصنعها للقرارات في خضم القصص.

أما المنهج المتبع، فهو المنهج الثقافي التحليلي، الذي يسعى إلى قراءة صورة الأم لا بوصفها شخصية سردية فقط، بل بوصفها تمثيلاً ثقافياً تربوياً، يتقاطع مع أنساق القيم والمعاني العميقة في البنية الثقافية العربية.

في فضاء ألف ليلة وليلة، تتجاوز المرأة حدود الدور التقليدي الأنثوي، لتتحول إلى مركز للسلطة، والهيمنة، والقرار، بما يمنحها القدرة على فاعلية صنع القيم التربوية، وذلك ضمن بناء تخيلي يخلط بين الأسطورة والواقع، وبين المخيال الجماعي والمواقف الأيديولوجية التي حكمت

الذهنية الشرقية القديمة. تتجلى في هذا النص السردى شخصية المرأة بوصفها كيانًا معقدًا، لا يمكن حصره في إطار واحد أو وظيفة محددة. فقد حضرت بوصفها أمًا، وملكة، وحكيمة، وراوية، مما يثير تساؤلات ثقافية عميقة حول تمثّل المجتمع الذكوري للمرأة، خاصة حين تمتلك مفاتيح القرار أو تتسلط على المجال العام.

لا يستمرّ تصوّر العدائي للمرأة في (ألف ليلة وليلة)؛ إذ تبرز شخصيات نسائية قوية من قلب الحكايات، ومن بينهن شهرزاد، التي استطاعت أن تقلب المعادلة كاملة، لا لأنها مارست سلطة القتل المضاد؛ بل لأنها مارست سلطة الحكاية، واستثمرت قدرتها على التأثير النفسي في تغيير الحاكم، وانتشاله من عزلته القاتلة إلى فضاء الإصغاء والتعلم. لقد استخدمت شهرزاد التشويق بوصفه سلاحًا رمزيًا، استطاعت به أن تنقذ نفسها أولاً، ثم تنقذ بنات جنسها جميعًا من شبح الموت، وهذا التحوّل يضعها في موضع الأم الحامية، لا الزوجة فحسب، بل تلك التي تُعيد تشكيل نفسية الطاغية وتهدئ غرائزه، بل وتربيّه مجددًا من خلال الحكاية.

وتبلغ هذه الصورة ذروتها في تصوير ممالك النساء داخل الليالي، حيث النساء يمثلنّ الجند والقضاة والوزيرات، ذوات هيبة ووقار، عجائز حكيّات يملكن زمام الدولة، ويتكرّس هذا المعنى في حكاية "جزائر واق واق"، حيث تُرسم مملكة نسوية لا يدخلها رجل، ومن يدخلها يُحاكم بشدّة أو يُقتل، إلا إذا حظي بعفو خاص من الملكة. وتُظهر الحكاية أيضًا الوجه الآخر للحاكمة: امرأة قادرة على اتخاذ القرار، لكنها في الوقت نفسه مقيدة برغبات الأنثى، بعواطفها، وغيبتها، وحرصها على السمعة والشرف العام. فالأم الملكة هنا ليست فقط حاكمة، بل حارسة لقيم الأسرة والنظام السياسي معًا، ولعل هذا التداخل بين الأمومة والحكم هو ما يمنح الصورة النسوية في ألف ليلة وليلة هذا القدر من التوتر والرمزية الغنية، بما يخلق تصوّرًا تربويًا يمتلك بعدًا تنفيذيًا تمثله السلطة، وبعبارة أكثر وضوحًا التربوية القادرة على تنفيذ خططها، إنها سلطة الأم المربية والموجهة.

كل هذه الصور تُرينا أن صورة الأم أو المرأة في الليالي لم تكن محايدة أو عابرة، بل كانت نتاجًا لنسق ثقافي مركّب. فهي الأم الحامية كما في شخصية شهرزاد، وهي الأم السلطوية كما في ملكات واق واق، وهي الأم الحاكمة كما في زبيدة وزمرد، وهي المرأة التي توازن بين الحنان والقسوة، بين المشاعر والسياسة، وكل هذه الصور تكشف عن عمق الرؤية التي يُقدّمها النص حول المرأة، وبخاصة حين تُسند إليها أدوار الحكم والحماية والرعاية، وهو ما يخلق التساؤل المثير عن قيمة المشروع التربوي الذي يكون مصدره الأم القادرة على التخطيط والتنفيذ.

* حضور الأم المربية بين الخفاء والرمز في ألف ليلة وليلة:

في هذا السياق، تشير الباحثة سهير القلماوي في كتابها المرأة في ألف ليلة وليلة إلى أن المرأة في النص ليست كيانًا ثابتًا بل هي انعكاس لتعددية الثقافات والأزمنة التي شكّلت

الحكايات. ف"الكتاب يجمع أشناتاً من صور المرأة على مر العصور، ولا يكتفي بالصور القريبة من تاريخه وبيئته، بل يقدم ذكريات صور بعيدة من قصص قديمة أو معتقدات متوارثة" يقدم كتاب ألف ليلة وليلة، عبر سردياته المتعددة، حضوراً مركباً ومعقداً لصورة الأم. هذا الحضور لا يتجلى دائماً بشكل مباشر أو بيولوجي، بل يتخذ أشكالاً رمزية أو وظيفية تعكس أبعاداً تربوية، نفسية، سلطوية، أو معرفية. ومن أبرز هذه التجليات، صورة شهرزاد كراوية ومربية رمزية للأمة، وصورة ابنة الراعي الحكيمة كممثلة للمرأة العارفة الحافظة للحق، والتي تلعب دوراً محورياً في تصحيح الظلم واستعادة التوازن.

في النص المعنون بـ "الأميرة الجميلة شهرزاد"، تتجاوز شخصية شهرزاد مجرد كونها زوجة للملك شهريار، لتتقمص وظيفة الأم المعلمة والمصلحة. فهي تتوسل بالحكاية وسيلة لتهديب الطاغية، ولحماية الفتيات من المصير الدموي الذي كان بانتظارهن. بل إنها تفرض على الحاكم نفسه أن يصغي ويتعلم. تقول في بداية النص: «لا.. بالله عليك يا مولاي شهريار دعه يحكي حكايتنا وتعرفها الأجيال الحديثة، قصصنا الجديدة...» هذا الخطاب الموجه إلى الملك يعكس جرأة لا تصدر عن امرأة خائفة فحسب، بل عن رمز أمومي واعٍ يحمل عبء التاريخ وصوت الأجيال القادمة. شهرزاد هنا ليست فقط زوجة، بل رمز للأم المثقفة التي تُنقذ الأمة من ضلالها بالحكمة والمعرفة والسرد.

ويزيد حضورها بُعداً رمزياً حين تقف بجانب أختها دنيازاد لتطلب من شهريار الاستماع، فيتحول المشهد إلى ما يشبه تمثيلاً مسرحياً للأمم الجماعية، حيث تكون الأخوات رمزاً للنسل، والاستمرارية، والرؤية المستقبلية. وفي هذا السياق، تصبح شهرزاد "الأم-الحاكمة"، فهي لا تُنقذ نفسها فحسب، بل تُعيد تشكيل السلطة عبر سرد الحكاية وترويض العنف.

من جهة أخرى، تظهر ابنة الراعي الحكيمة بوصفها أمّاً بديلة أو مجازية. هذه الفتاة التي لم تُقدّم في النص كأُم فعلية، إنما تتحرك بوظائف الأمومة الحافظة والمفسّرة والمصلحة والمربية. فعندما ترى العجل المسحور، تبكي ثم تضحك، وتكشف للراعي أن ابنه قد سُحر، وتفصح عن الجريمة التي ارتكبتها "نمرودة الشريرة". «تقول ابنة الراعي: "وأما سبب بكائي لأن أمه سحرتها زوجة أبيه نمرودة الشريرة... فذبحها أبوه وهو لا يعلم أنها زوجته الأمينة».

إنها لا تمارس سلطة الأمومة العاطفية فقط، بل تتحول إلى صوت للعدالة، حاملة للمعرفة التي غابت عن الأب، مكملةً عجزه، وكاشفة عن مأساة الأم الحقيقية. هذه الوظيفة المعرفية تُعيد للأم مكانتها في النظام الرمزي للنص، وتبرز غيابها بوصفه خلافاً في المنظومة الأخلاقية.

وتكشف حكاية "علي شار وزمرد" عن حضور باهت للأم، يكاد يساوي الغياب الكامل، مما يمنح الحكاية بُعداً ثقافياً يتعلق بالبنية الأسرية المختلة، أو المعطلة، التي يعوّل فيها على الأب

كمصدر وحيد للوصايا والتربية، فيما يتم تغييب الأم تمامًا، أو إدراجها بشكل عابر. مما يرسخ صورة الأب الحكيم والناصح، في مقابل غياب أي أثر للأم في مرحلة النشأة أو التربية. هذا الحضور السطحي يكشف عن موضعة الأم خارج دائرة التأثير في تشكيل الهوية أو القرار، لتتحول إلى كيان ملحق بظل الأب، لا يُذكر إلا بعد استيفاء السرد دوره الذكوري. إن اختزال الأم في هذا الموضع يُبرز بوضوح نوعًا من النسق الثقافي الأبوي، الذي يحتكر رمزية السلطة والتوجيه والذكر داخل الأسرة لصالح الذكر، بينما تذوب الأم في خلفية الحكاية، بلا ملامح أو قول أو موقف.

وإذا كان غياب الأم قد انعكس في سرد الطفولة، فإن آثاره تتجلى في انهيار منظومة القيم لاحقًا، حين يُخفق علي شار في تنفيذ وصايا والده، ويتحوّل عن طريق الرشاد، وهي رسالة تربوية وقيمية واضحة تكشف عن عمق البعد التربوي للأم، وأن غياب هذا البعد التربوي يحمل عواقب وخيمة.

هذا الغياب لا يمكن فصله عن مصير البطل، فبنية الحكاية توظف غياب الأم كمحرك سردي خفي، يقود إلى الفشل، والضياع، والافتقار، ثم الوقوع في براثن الغواية والاحتيال. ولعلّ الجارية زمرّد، في لحظة حضورها، لا تمثّل بديلًا للأم، بل أنوثة مختلفة تؤسس لعلاقة تكافؤ مع البطل - علاقة اختيار وحنو وإنقاذ - لكنها لا تملأ الفراغ القيمي ذاته الذي خلفه غياب الأم الأولى. وهكذا، تُرسخ الحكاية - من خلال صمت الأم وموتها الصامت - نسقًا ثقافيًا يحجب صوت الأم، ويترك آثار الغياب متسلسلة في مسار الحدث.

وهكذا، يُعبّر غياب الأم في هذه الحكاية عن خلل عاطفي-اجتماعي، لا يُقصد به الموت البيولوجي بقدر ما هو تغييب رمزي لوظيفة الأم كحامية للروح، ومرشدة للحب، وصوت للحدس. فالحكاية مكتظة بالعشاق والرسل والخدم والأموال، ولكنها فارغة من الأم، كأنها تُدار عمدًا في فضاء يتيم، حيث تغيب الحماية، وتحضر الهشاشة.

التوصيات:

يتجلى لنا أن الأم في هذا النص ليست مجرد شخصية، بل هي عالم قائم بذاته، يحمل في طياته تناقضات الثقافة وتشابكاتها. لقد كشف هذا المقال أن الأمومة في الليالي تتجاوز الوظيفة البيولوجية لتتحول إلى قيمة تربوية فاعلة، وصانعة للحدث بإعادة بناء الثقافة، إنها ليست مجرد حكايات للمتعة، بل مرآة كاشفة لوضع المرأة لما يدفعنا إلى إعادة النظر في تراثنا السردي بعين أكثر وعيًا، وأكثر إنسانية. ويوصي المقال بالآتي:

- ١- إعادة قراءة (ألف ليلة وليلة) بوصفها تراثًا علميًا متراكمًا.
- ٢- إعادة إنتاج القصّ في (ألف ليلة وليلة) تربويًا، واستكشاف المناهج التربوية التي تتمظهر في سلوكيات أشخاص القصص.

٣- توظيف آليات القصص العجائبي الذي تمثله (ألف ليلة وليلة) في التربية والتعليم؛ كونه عنصرًا جاذبًا لفئات عمرية متنوعة.

المصادر:

- السواح، فراس، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٢.
- القلماوي، سهير، ألف ليلة وليلة، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الأدبية، بلا معلومات.
- ألف ليلة وليلة، مؤسسة هنداوي، ج١، ج٢، ج٣، ٢٠١٧.